

تفسير البحر المحيط

@ 391 @ نخبركم بأمر محمد وأصحابه ونطلعكم على سرهم ؟ وعن ابن عباس : ألم نخط من ورائكم ؟ والذين يتربصون بدل من الذين يتخذون ، أو صفة للمنافقين ، أو نصب على الذم ، أو رفع على خبر الابتداء محذوف . وسمى تعالى طفر المؤمنين فتحات عظيماً لهم ، وجعل منه تعالى فقال : فتح من [] ، وطفر الكافرين نصيباً ، ولم ينسبه إليه تعالى تحقيراً لهم وتخسيساً لما نالوه من المؤمنين ، لأن طفر المؤمنين أمر عظيم تفتح له أبواب السماء كما قال أبو تمام في فتح المعتمم عمورية بلاد الروم : % (فتح تفتح أبواب السماء له % . وتبرز الأرض في أثوابها القشب . %) .

وأما طفر الكافرين فهو حظ دنيوي يصيبونه . وقرأ ابن أبي عبلة : ومنعكم بنصب العين بإضمار بعد واو الجمع ، والمعنى : ألم نجمع بين الاستحواذ عليكم ، ومنعكم من المؤمنين ؟ ونظيره قول الحطيئة : % (ألم أك جاركم ويكون بيني % . وبينكم المودة والإخاء . %) .

وقال ابن عطية : ومنعكم بفتح العين على الصرف انتهى . يعني الصرف عن التشريك لما بعدها في إعراب الفعل الذي قبلها ، وليس النصب على الصرف من اصطلاح البصريين . وقرأ أُبي : ومنعناكم من المؤمنين ، وهذا معطوف على معنى التقدير : لأن المعنى إما استخوذنا عليكم ومنعناكم كقوله : { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا } . إذ المعنى : أما شرحنا لك صدرك ووضعنا . .

{ فَاللَّهِ يُدْعُكُمُ بِإِذْنِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } أي وبينهم وينصفكم من جميعهم . ويحتمل أن لا عطف ، ومعنى بينكم أي : بين الجمع منكم ومنهم ، وغلب الخطاب . وهذه تسلية للمؤمنين وأنس بما وعدهم به . .

{ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا } يعني يوم القيامة قاله : عليّ وابن عباس . وروي عن سبيع الحضرمي قال : كنت عند عليّ فقال له رجل : يا أمير المؤمنين أرايت قول [] تعالى : { وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا } كيف ذلك وهم يقاتلوننا ويظهرون علينا أحياناً ؟ فقال عليّ : معنى ذلك يوم القيامة ، يوم الحكم . قال ابن عطية : وبهذا قال جميع أهل التأويل . قال ابن العربي : وهذا ضعيف لعدم فائدة الخبر فيه ، وإنّ أوهم صدر الكلام معناه لقوله

: فإِ يحكم بينكم يوم القيامة . وقيل : أنه تعالى لا يمحو بالكفر ملة الإسلام ولا يستبيح
بيضتهم كما جاء في صحيح مسلم من حديث ثوبان قال : { فَإِ زَيَّ * دُونِ اللَّهِ أَرُونِي
مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ
آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الطَّاغُوتُونَ
بِعِصْيَانِهِمْ بِعِصْيَاءٍ } . .

وقيل : المعنى أن لا يتواصوا بالباطل ، ولا يتناهاوا عن المنكر ، ويتقاعدوا عن التوبة ،
فيكون تسلط العدو عليهم من قبلهم كما قال تعالى : { وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مَّصِيبَةٍ
فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ } . قال ابن العربي : وهذا بين جدا ، ويدل عليه قوله في
حديث ثوبان : حتى يكون بعضهم يهلك بعضا . وذلك أن غاية ، فيقتضي ظاهر الكلام أنه لا
يسلط عليهم عدوهم فيستبيحهم إلا إذا كان منهم هلاك بعضهم بعضا ، وسبي بعضهم لبعض . وقد
وجد ذلك في هذه الأزمان بالفتن الواقعة بين المسلمين ، فغلطت شوكة الكفار ، واستولوا
على بلاد المسلمين حتى لم يبق من الإسلام إلا أقله . .

وقيل : سبيلا من جهة الشرع ، فإن وجد فبخلاف الشرع . وقيل : سبيلا حجة شرعية ولا
عقلية